فى
التنوير الإسلامى
٣٨

قضية المرأة

بين التحرير والتمركز حول الأنثى

تأليف

د / عبد الوهاب المسيري

E.P.P.D.Co
No (71)
210.4
ع ق

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٢٦٠/٤
م ٤ ق

فى التنوير الإسلامى ٣٨

قضية المرأة

بين التحرير.. والتمركز حول الأنثى

تأليف
د/ عبد الوهاب المسيرى

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

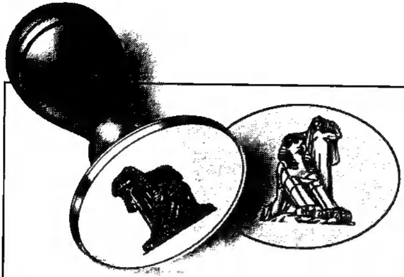

اسم الكتاب	قضية المرأة بين التحرير.. والتمركز حول الأنثى .
اسم المؤلف	د/ عبد الوهاب المسيرى.
تاريخ النشر	يونيه ١٩٩٩ م
رقم الإيداع	٧٧٢٩ / ١٩٩٩م .
الترقيم الدولى	I . S . B . N 977 - 14 - 0957 - 3
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة . مدينة السادس من أكتوبر . ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

١ - بين الإنسان والإنسان الطبيعى

من الأمور المألوفة فى الوقت الحاضر أن نتلقى معظم ، إن لم يكن كل ، ما يأتينا من أهل الغرب بكفاءة منقطعة النظير ، دون أن نحاول أن نحلله أو نفسره ، ودون أن ندرك أن ما يأتينا منهم يعكس منظورهم وتحيزاتهم (كما هو متوقع من كل ما هو إنسانى) . ولذا ثمة غياب ملحوظ للبُعد النقدى فى الدراسات العربية والإسلامية للمفاهيم والمصطلحات الغربية . إذ أننا نكتفى دائماً بنقل أفكارهم من وجهة نظرهم دون أن نطرح أى أسئلة تنبع من رؤيتنا وتجربتنا التاريخية والإنسانية ، ودون أن نتوجه إلى القضايا الكلية والنهائية الكامنة فى النصوص التى ننقلها ونشرحها فنحن لا نسأل ، على سبيل المثال ، عما إذا كان الإنسان - كما يتمثل فى النص الذى ننقله - كائناً مادياً بسيطاً أم كائناً مركباً يتجاوز المادة؟ ومن أين يستمد هذا الإنسان معياريته : من قوانين الحركة أم من شىء أكثر تركيباً؟ هل هناك هدف أو غاية فى حياة الإنسان أم أن حياته نهب الصدفة والحرية العمياء؟ وأخيراً ، هل الإنسان هو مركز الكون القادر على تجاوز عالم المادة ، أم أنه كائن لا أهمية له ، يذعن لظروفه المادية وللحتميات الطبيعية؟ وإخفاقنا فى تعريف البُعد الكلى والنهائى هو السبب الكامن وراء ما نلاحظ من خلط بين المفاهيم ، إذ يتم تصنيفها والربط أو الفصل بينها على أسس سطحية من التشابه والاختلاف .

وقد ظهر مؤخراً مصطلح «فيمينزم feminism» الذى يُترجم إلى «النسوية» أو «النسوانية» أو «الأنثوية» وهى ترجمة حرفية لا

تسمن ولا تُغْنى من جوع ، ولا تفصح عن أى مفهوم كامن وراء المصطلح ، وقد يكون من المفيد أن نحاول أن نحدد البُعد الكلى والنهائى لهذا المصطلح حتى ندرك معناه المركب والحقيقى ، ولإنجاز هذا لابد أن نضع المصطلح فى سياق أوسع ، ألا وهو ما نسميه «نظرية الحقوق الجديدة» . فكثير من الحركات التحررية فى الغرب فى عصر ما بعد الحداثة (عصر سيادة الأشياء وإنكار المركز والمقدرة على التجاوز وسقوط كل الثوابت والكليات فى قبضة الصيرورة) تختلف تماماً عن الحركات التحررية القديمة التى تصدر عن الرؤية الإنسانية (الهيومانية) المتمركزة حول الإنسان .

وكاتب هذه الدراسة ينطلق من مفهوم معرفى أساسى وهو أن ثمة مواطن اختلافات جوهرية بين الإنسان والطبيعة ، فالإنسان يحوى داخله من التركيب ما يمكِّنه من تجاوز عالم الطبيعة/ المادة ، ومقدرته على التجاوز هذه هى سبب ونتيجة فى الوقت نفسه لمركزيته فى الكون .

ومنظومة التحديث والعلمنة الغربية تدور فى إطار ما نسميه «الحلولية الكمونية المادية» أو «المرجعية الكمونية الذاتية» . وما يُميِّز هذه المنظومة ، على مستوى البنية العامة ، أن المبدأ الواحد المنظِّم للكون ليس مفارقاً له أو منزَّهاً عنه ، متجاوزاً له ، وإنما كامن (حال) فيه ، ولذا فالكون (الإنسان والطبيعة) يصبح مرجعية ذاته ، ومكتف بذاته .

هذا هو المبدأ البنيوى العام ، أو النموذج الثابت الكامن ، ولكن هذا النموذج يأخذ شكل متتالية تتحقق فى الزمان ، تأخذ شكل حلقات تتبع الواحدة الأخرى ، يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - الواحدية الإنسانية (الهيومانية) : تبدأ متتالية التحديث والعلمنة بأن يواجه الإنسان الكون دون وسائط ، فيعلن أنه سيِّد الكون ومركزه ، موضع الحلول ، ولذا فهو مرجعية ذاته ، الذى لا يستمد معياريته إلا منها .

وانطلاقاً من هذا الافتراض ، يحاول هذا الإنسان أن يؤكد جوهره الإنسانى (المستقل عن الطبيعة) وأن يتجاوز الطبيعة/ المادة بقوة إرادته وأن يفرض ذاته الإنسانية عليها باسم إنسانيتنا المشتركة ، أى باسم الإنسانية جمعاء .

٢ - الواحدية الإمبريالية : يتحدث الإنسان الذى يؤكد جوهره الإنسانى باسم كل البشر . ولكن فى غياب أية مرجعية متجاوزة لذاته الفردية ، ينغلق الإنسان على هذه الذات ، فيصبح تدريجياً إنساناً فرداً لا يفكر إلا فى مصلحته ولذته ، ولا يشير إلى الذات الإنسانية وإنما إلى الذات الفردية .حينئذ تصبح الذات الفردية ، لا «الإنسانية جمعاء» ، هى موضع الحلول . فيؤِّله الإنسان الفرد نفسه فى مواجهة الطبيعة وفى مواجهة الآخرين ويصبح إنساناً إمبريالياً . وحينما يستمد هذا الإنسان الإمبريالى معياريته من ذاته الإمبريالية التى تستبعد الآخرين ، يصبح إنساناً عنصرياً يحاول أن يستعبد الآخرين ويوظِّفهم ، بل ويُوظِّف الطبيعة نفسها لحسابه ، وهنا تظهر الثنائية الصلبة ، ثنائية الأنا والآخر .

٣ - ثنائية الإنسان والطبيعة الصلبة : بعد المراحل السابقة التى تتميَّز بالتمركز حول الذات الإنسانية (إما بطريقة إنسانية هيومانية ، أو بطريقة عنصرية إمبريالية) يكتشف الإنسان تدريجياً

أن الطبيعة / المادة هى الأخرى موضع الحلول وأنها هى أيضاً مرجعية ذاتها ومكتفية بذاتها . فتظهر إثنينية وازدواجية صلبة أخرى ، ازدواجية الإنسان المتمركز حول ذاته الذى يشغل مركز الكون ، مقابل الطبيعة المكتفية بذاتها التى تشغل مركز الكون .

٤ - الواحدية الصلبة : سرعان ما تنحل هذه الازدواجية الصلبة إذ تصبح الطبيعة/ المادة وحدها هى موضع الحلول وتحل الواحدية الطبيعة/ المادة محل الواحدية الإنسانية . فيبدأ الجوهر الإنسانى فى الغياب تدريجياً ويحل الطبيعىّ محل الإنسانىّ ، ويستمد الإنسان معياريته لا من ذاته وإنما من الطبيعة/ المادة ويزداد اتحاده بالطبيعة إلى أن يذوب فيها تماماً ، ذوبان الجزء فى الكل .

حينئذ يظهر الإنسان الطبيعى ، وهو إنسان ليس فيه من الإنسان سوى الاسم ، إنسان جوهره طبيعى / مادى وليس إنسانىّ ، فهو يذعن للطبيعة ويتبع قوانينها ، وبعد أن كان يشير إلى ذاته (الإنسانية أو الفردية) ، يصبح جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة يشير إليها ، أى يتم تفكيك الإنسانى ويتم رده إلى الطبيعى .

وهكذا تُقوَّض مقولة الإنسان وفكرة الطبيعة البشرية المنفصلة عن قوانين المادة ، والتى تتسم بقدر معقول من الثبات والاستمرارية ، أى أننا انتقلنا من عالم يتسم بالثنائية والصراع ، مركزه الإنسان أو الطبيعة ، إلى عالم واحدى مركزه الطبيعة/ المادة وحسب .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا العالم - رغم لا إنسانيته - عالم له مركز (لوجوسنترك logo - centric فى المصطلح ما بعد الحداثى) ، ولذا فهو يتسم بما نسميه «الواحدية الصلبة » .

٥ - الواحدية السائلة : تتصاعد معدلات الحلول والتفكيك ،

وتتعدد مراكز الحلول إلى أن تصبح الصيرورة هى مركز الحلول ، ويصبح النسبى هو المطلق الوحيد ، ويصبح التغير هو نقطة الثبات الوحيدة ، حينئذ تفقد الطبيعة/ المادة مركزيتها ، باعتبارها المرجعية النهائية .

ويغيب فى نهاية الأمر كل يقين وتسيطر النسبية تماماً وتتعدد المراكز ويسقط كل شىء فى قبضة الصيرورة الكاملة . ويفضى بنا كل هذا إلى عالم مفكك لا مركز له ، ويتحول العالم إلى كيان شامل واحد تتساوى تماماً فيه الأطراف بالمركز ، عالم لا يوجد فيه قمة أو قاع ، أو يمين أو يسار (أو ذكر أو أنثى) ، وإنما يأخذ شكلاً مسطحاً تقف فيه جميع الكائنات الإنسانية والطبيعية على نفس السطح وتُصفَّى فيه كل الثنائيات ، وتنفصل الدوال عن المدلولات فتتراقص بلا جذور ولا مرجعية ولا أسس . وتصبح كلمة «إنسان» دالاً بلا مدلول ، أو دالاً متعدد المدلولات ، وهذا هو التفكيك الكامل ، وهذا هو الانتقال من الثنائية الصلبة و الواحدية الصلبة إلى الواحدية السائلة التى لا تعرف حدوداً ولا قيود . وهو أيضاً الانتقال من عالم التحديث والحداثة (والإمبريالية) إلى عصر ما بعد الحداثة (والنظام العالمى الجديد) .

ورغم الاختلاف المعرفى والفلسفى بين الواحدية الصلبة والواحدية السائلة إلا أنه يمكن القول بأن نقط التشابه بينهما – من منظور هذا البحث – أهم من نقط الاختلاف ، فجوهرهما هو تغييب الإنسانى وتفكيكه وتقويضه ، وتذويبه إما فى عالم مركزه الطبيعة ، أو فى عالم لا مركز له .

هذا النمط (الواحدية الهيومانية [عالم مركزه الإنسانية جمعاء] – الواحدية الإمبريالية [عالم مركزه الذات الفردية] – الثنائية الصلبة

[صراع بين الإنسان والطبيعة] - الواحدية الصلبة [عالم مركزه الطبيعة] - الواحدية السائلة [عالم بلا مركز سقط فى قبضة الصيرورة]) هو نمط أساسى فى الفكر المادى منذ بداية التفكير الفلسفى . ولكنه يظهر بشكل متبلور فى الفلسفات المادية فى العصر الحديث ، فبعد مرحلة هيومانية أولية قصيرة (humanism) تظهر الإمبريالية ثم العنصرية والعداء العميق للإنسان (anti -humanism) . ويقسِّم البشر فى منظومة نيتشه إلى سوبرمان (superman) أى الرجل الأعلى ، أو الإنسان الذى تجاوز الإنسان ، وسبمان (subman) أى الرجل الأدنى ، أو الإنسان الذى هو دون الإنسان .

وهكذا يظهر عالم صراعى ثنائى ينقسم فيه البشر إلى : جزار وضحية - قاتل ومقتول - أقوياء وضعفاء - باطشون ومتكيفون مرنون .

ولكن ما يجمع السوبرمان والسبمان أن كليهما لا يعبِّر عن الجوهر الإنسانى المتجاوز للطبيعة/ المادة وإنما هو جزء من عالم الطبيعة/ المادة الداروينى الصراعى الواحدى الصلب . وأسبقية الطبيعة/ المادة على الإنسان تترجم نفسها إلى أسبقية الفرد على المجتمع وأسبقية المصلحة الشخصية والمنفعة الفردية على قيم المجتمع ومتطلبات بقائه .

هذا العالم يتسم بالحركة الدائمة ، ولذا سرعان ما ينحل العالم الثنائى الصلب والعالم الواحدى الصلب إلى عالم لا مركز له ، فى حالة سيولة شاملة ، فيحل دريدا محل نيتشه ، ويحل مادونا ومايكل جاكسون محل طرزان ودراكيولا .

١ - المساواة والتسوية

يمكن القول بأن حركات التحرر القديمة كانت تنطلق من الواحدية الإنسانية (الهيومانية) ومن الإيمان بتميُّز الإنسان عن الطبيعة وبتفوقه عليها ومركزيته فيها ومقدرته على تجاوزها وعلى صياغتها وصياغة ذاته . وكانت تتم المطالبة بالمساواة بين البشر داخل هذا الإطار حيث يقف الإنسان على قمة الهرم الكونى ، كائناً حراً مبدعاً فريداً .

أما حركات التحرر الجديدة فهى لا تنطلق من هذه الافتراضات الفلسفية الإنسانية ، بل ترفضها بشكل واع أو غير واع فهى حركات تقبل بالواحدية الإمبريالية (الإنسان فى صراع مع أخيه الإنسان) وتدور فى إطار الثنائية الصلبة (حرب الإنسان ضد أخيه الإنسان وضد الطبيعة) والواحدية الصلبة (سيادة الطبيعة على الإنسان وإزاحة الإنسان من مركز الكون) والواحدية السائلة (رفض فكرة المرجعية والمركز وأى ثوابت وأية كليات ، بما فى ذلك مفهوم الإنسانية المشتركة القادرة على تجاوز الطبيعة/ المادة) .

فهذه الحركات الجديدة تؤكد فكرة الصراع بشكل متطرف ، فكل شىء إن هو إلا تعبير عن موازين القوى وثمرة الصراع المستمر . والإنسان هو مجرد كائن طبيعى يمكن رده إلى الطبيعة/ المادة ويمكن تسويته بالكائنات الطبيعية ، وبالفعل يتم تسوية الإنسان بالحيوان والنباتات والأشياء إلى أن يتم تسوية كل شىء بكل شىء آخر ، فتتعدد المراكز ويتهاوى اليقين ويسقط كل شىء فى قبضة الصيرورة ، ومن ثم تظهر حالة من عدم التحدد والسيولة والتعددية المفرطة .

وفى هذا الإطار يمكن أن يخضع كل شىء للتجريب المستمر

خارج أى حدود أو مفاهيم مسبقة (حتى لو كانت إنسانيتنا المشتركة التى تحققت تاريخياً) ويبدأ البحث عن «أشكال» جديدة للعلاقات بين البشر لاتهتدى بتجارب الإنسان التاريخية ، وكأن عقل الإنسان بالفعل صفحة مادية بيضاء ، وكأنه لا يحمل عبء وعيه الإنسانى التاريخى ، وكأنه آدم قبل لحظة الخلق ، قبل أن ينفخ الله فيه من روحه . فهو قطعة من الطين التى يمكن أن تصاغ بأى شكل لا فارق بينها وبين أى عنصر طبيعى/ مادى آخر .

ولذا نجد جماعات التحرر الجديدة (المتحررة من مفاهيم الإنسانية المشتركة ومن عبء التاريخ ، والمدافعة عن التجريب المنفتح المستمر) تدافع عن الفقراء والسود والشواذ جنسياً والأشجار وحقوق الحيوانات والأطفال والعراة والمخدرات وفقدان الوعى وحق الانتحار ، وعن كل ما يطرأ وما لا يطرأ على بال .

ولعل شيوع الواحدية المادية الصلبة والسائلة فى العصر الحديث (التى ترى أن العالم مكون من جوهر واحد ، وأنه لا يوجد فرق بين الإنسان والطبيعة) هو الذى يُفسِّر سر انتشار الديانات الطبيعية والعبادات الجديدة بما فى ذلك عبادة الشيطان والنزعات الكونية . فكلها دعوات تؤكد أسبقية الطبيعة على الإنسان والفرد على المجتمع ، وتدعو الإنسان إلى الذوبان فى الطبيعة ، وتلغى كيانه كمقولة لها حدودها المستقلة ، وتفكك مقولة الإنسان وتقوضها ، ثم ينتهى الأمر بهذه الدعوات إلى رفض فكرة العالم المتماسك الذى يدور حول مركز ما ليحل محله عالم سائل لا مركز له .

ويُعد رفض الإنسان تأييد هذه الدعوة للإيمان بأسبقية الفرد على المجتمع وللتسوية بين الإنسان والطبيعة فعلاً رجعياً ورفضاً للتقدم (من منظور نظرية الحقوق الجديدة) ، مع أن موقف الرفض هذا هو

فى واقع الأمر محاولة للعودة إلى فكرة الإنسان الاجتماعى الحضارى ، المستقل عن الطبيعة ، القادر على تجاوزها ، صاحب الإرادة والوعى ؛ هو رفض للحالة الطبيعة المادية (البهيمية) ، ومساواة الإنسان وتسويته بالحيوان ، ودفاع عن أسبقية المجتمع على الفرد وعن مركزية الإنسان فى الكون .

فى هذا الإطار ، يمكننا أن نعيد النظر فى هذا الدفاع الشرس عن الشذوذ الجنسى ، فهو فى جوهره ليس دعوة للتسامح أو لتفهم وضع الشواذ جنسياً (كما قد يتراءى للبعض لأول وهلة) ، بل هو دعوة لتطبيع الشذوذ الجنسى ، أى جعله أمراً طبيعياً عادياً ، الأمر الذى يشكل هجوماً على طبيعة الإنسان الاجتماعية وعلى إنسانيتنا المشتركة كمرجعية نهائية وكمعيار ثابت يمكن الوقوف على أرضه لإصدار أحكام إنسانية ولتحديد ما هو إنسانى وما هو غير إنسانى ، أى أن الشذوذ الجنسى لم يَعُد مجرد تعبير عن مزاج (أو انحراف) شخصى ، وإنما تحول إلى أيديولوجية تهدف إلى إلغاء ثنائية إنسانية أساسية هى ثنائية الذكر/ الأنثى التى يستند إليها العمران الإنسانى والمعيارية الإنسانية .

والحديث المتواتر والمتوتِّر عن «حقوق الإنسان» ، والذى تقوده وتموله وتدعمه أكثر الدول إمبريالية فى العالم ؛ أى الولايات المتحدة ، هو فى جوهره هجوم على مفهوم الإنسانية المشتركة . فالإنسان الذى يتحدثون عن حقوقه هو وحدة مستقلة بسيطة كمية ، أحادية البُعد ، غير اجتماعية وغير حضارية ، لا علاقة لها بأسرة أو مجتمع أو دولة أو مرجعية تاريخية أو أخلاقية ؛ هو مجموعة من الحاجات (المادية) البسيطة المجرَّدة التى تحددها الاحتكارات وشركات الإعلانات والأزياء وصناعات اللذة

والإباحية (وفى نهاية الأمر صناعة السلاح أهم الصناعات فى العصر الحديث وأكثرها فتكاً وتفكيكاً) .

والفرد حسب هذا التصور يقف وحيداً يتلقى عديداً من الإشارات الحسية البسيطة الكثيفة من مؤسسات عامة لا خصوصية لها ولا تحمل أى قيم ، إلا فكرة تعظيم لذة المستهلك وزيادة أرباح الشركات .

فالفرد إن هو إلا نسان طبيعى ، شىء طبيعى/ مادى بين الأشياء الطبيعية/ المادية ، إفراز مباشر لمفهوم العقد الاجتماعى البورجوازى ، الذى يرى أسبقية الفرد الطبيعى على المجتمع غير الطبيعى ، وهو العقد الذى تحول فى منتصف القرن التاسع عشر إلى العقد غير الاجتماعى الداروينى ، الذى يفترض حرب الجميع ضد الجميع (كما تنبأ فيلسوف البورجوازية الأكبر ، توماس هوبز فى عصر «النهضة» فى الغرب) .

ولذا ، لا يتحدث أحد عن حق الإنسان (الاجتماعى) والمجتمعات الإنسانية فى البقاء داخل منظوماتها القيمية وخصوصياتها القومية . ولم يطرح أحد قضية صناعة الإباحية وسلعها المختلفة التى تُصدَّر من الغرب ، والتى تهدر أبسط الحقوق الإنسانية وتحول الإنسان إلى كم مادى لا قداسة له . وكذلك لم يناقش أحد قضية حقوق الشعوب التى تُنهب ثرواتها وتُسرق أموالها ، ثم تُودع فى بنوك غربية من قبَل شخصيات تساندها نفس الحكومات التى تصرخ ليل نهار مطالبة بالحفاظ على حقوق الإنسان الفرد .

ولم يطالب أحد بوقف صناعة أسلحة الفتك والدمار التى تُطوَّر

ويُصنَّع معظمها فى العالم الغربى والتى تمتص ميزانيات الشعوب وتلوث البيئة وتدمر آلاف الأنفس كل عام . فالحديث دائماً يجرى عن إنسان مجرد بسيط لا يوجد داخل المجتمع ، والتاريخ والحضارة والأسرة . ومن ثم ينصب الحديث على الحقوق المطلقة لهذا الفرد ؛ أى حقوق تتجاوز حقوق المجتمع ومنظوماته الأخلاقية والمعرفية . ولكن هذا الفرد الحر من الناحية النظرية ، يسقط بالفعل فى قبضة الصيرورة ، التى تتحكم فيها أجهزة الإعلام الغربية والشركات عابرة القارات وصناعة اللذة .

ويظهر الهجوم على فكرة المجتمع الإنسانى ومفهوم الإنسانية المشتركة (الإنسانية جمعاء) فى المفهوم الجديد للأقليات الذى يروجه النظام العالمى الجديد وهيئة الأمم المتحدة وبعض الجماعات التى تدور فى فلكها ودعاة نظرية الحقوق الجديدة . فالجماعات الدينية أقلية ، والجماعات الإثنية أقلية ، والشواذ جنسياً أقلية ، والمعوقون أقلية ، والمسنون أقلية ، والبدينون أقلية ، والأطفال أقلية ، والنساء أقلية .

وفكرة أن كل الناس أقليات ، تعنى أنه لا يوجد أغلبية ، أى لا يوجد معيارية إنسانية ولا ثوابت ، ومن ثم تصبح كل الأمور نسبية متساوية وتسود الفوضى المعرفية والأخلاقية . وإذا كان لكل أقلية حقوق «مطلقة» ، فإن هذا يؤدى فى واقع الأمر إلى أن فكرة المجتمع الذى يستند إلى عقد اجتماعى وإلى إيمان بإنسانيتنا المشتركة تصبح مستحيلة ، إذ أن الحقوق المطلقة التى لا تستند إلى أى إطار مشترك لا يمكنها التعايش . . (وهذا ما حدث فى فلسطين المحتلة حين جاء الصهاينة بحقوق يهودية مطلقة لا تعرف الإنسانية المشتركة فقاموا بطرد الفلسطينيين من أرضهم وهدم وطنهم) .

٣ - السياق الحضارى المعرفى لحركتى تحرير المرأة والتمركز حول الأنثى

هذه الأفكار تشكِّل الإطار الحقيقى لحركة الفيمينزم التى ظهرت مؤخراً في الغرب ، وقد ظن البعض أن مصطلح «فيمينزم» هذا مجرد تنويع على مصطلح «ويمنز ليبيراشن موفمنت «women's liberation movemrnt» الذى يُترجم عادةً إلى «حركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها» . ولذا حل المصطلح الجديد تدريجياً محل المصطلح القديم وكأنهما مترادفان أو متقاربان فى المعنى ، وكأن المصطلح الجديد لا يختلف عن القديم إلا فى أنه أكثر شمولاً أو أكثر راديكالية .

ولكننا لو دققنا النظر لوجدنا أن المصطلح الجديد مختلف تمام الاختلاف عن مدلولات حركة تحرير المرأة (وهى واحدة من حركات التحرر القديمة التى تدور فى إطار إنسانى هيومانى يؤمن بفكرة مركزية الإنسان فى الكون ، وبفكرة الإنسانية المشتركة التى تشمل كل الأجناس والألوان وتشمل الرجال والنساء ، وبفكرة الإنسان الاجتماعى الذى يستمد إنسانيته من انتمائه الحضارى والاجتماعى) . والإنسان من منظور حركة تحرير المرأة كيان حضارى مستقل عن عالم الطبيعة/ المادة لا يمكنه أن يوجد إلا داخل المجتمع ، ولذا لا يمكن تسويته بالظواهر الطبيعية/ المادية .

ومن ثم تحاول هذه الحركة أن تدافع عن حقوق المرأة داخل حدود المجتمع وخارج الأطر البورجوازية الصراعية الطبيعية/ المادية الداروينية التى ترى المجتمع باعتباره ذرات متصارعة .

والمرأة من ثم ، فى تصور هذه الحركة ، كائن اجتماعى يضطلع بوظيفة اجتماعية ودور اجتماعى ، ولذا فهى حركة تهدف إلى تحقيق قدر من العدالة الحقيقية داخل المجتمع (لا تحقيق مساواة مستحيلة خارجة) بحيث تنال المرأة ما يطمح إليه أى إنسان (رجلاً كان أم امرأة) من تحقيق لذاته إلى الحصول على مكافأة عادلة (مادية أو معنوية) لما يقدم من عمل .

وعادةً ما تطالب حركات تحرير المرأة بأن تحصل المرأة على حقوقها كاملة : سياسية كانت (حق المرأة فى الانتخاب والمشاركة فى السلطة) ، أم اجتماعية (حق المرأة فى الطلاق وفى حضانة الأطفال) ، أم اقتصادية (مساواة المرأة فى الأجور مع الرجل) .

وبرغم أن دعاة حركة تحرير المرأة قد يستخدمون أحياناً خطاباً تعاقدياً ، وقد ينظرون أحياناً للمرأة باعتبارها فرداً مستقلاً بذاته عن المجتمع لا باعتبارها أماً وعضواً في أسرة ، أو قد ينظرون إليها باعتبارها إنساناً اقتصادياً أو جسمانياً (أى إنساناً طبيعياً مادياً) لا إنساناً إنساناً ، إلا أن الإطار المرجعى النهائى هو الرؤية الإنسانية التى تضع حدوداً بين الإنسان والطبيعة وتفترض وجود مركزية إنسانية ومعيارية إنسانية ومرجعية إنسانية وطبيعة إنسانية مشتركة ، ولذا تأخذ حركة تحرير المرأة بكثير من المفاهيم الإنسانية

المستقرة الخاصة بأدوار المرأة فى المجتمع ، وأهمها ، بطبيعة الحال ، دورها كأم .

ولذا يتحرك برنامج حركة تحرير المرأة داخل إطار من المفاهيم الإنسانية المشتركة ، التى صاحبت الإنسان عبر تاريخه الإنسانى ، مثل مفهوم الأسرة باعتبارها أهم المؤسسات الإنسانية التى يحتمى بها الإنسان ويحقق من خلالها جوهره الإنسانى ويكتسب داخل إطارها هويته الحضارية والأخلاقية ، ومثل مفهوم المرأة باعتبارها العمود الفقرى لهذه المؤسسة ، ولا تطرح أفكاراً مستحيلة ولا تنزلق فى التجريب اللانهائى المستمر الذى لا يستند إلى نقطة بدء إنسانية مشتركة ولا تحده أية حدود أو قيود إنسانية أو تاريخية أو أخلاقية . هذا هو الإطار الحضارى والمعرفى لحركة تحرير المرأة وهذه هى بعض ثوابتها ، وقد كان هذا هو أيضاً الإطار الأساسى لحركات التحرر فى الغرب حتى منتصف الستينيات .

ولكن الحضارة الغربية دخلت عليها تطورات غيَّرت من توجهها وبنيتها ، إذ تصاعدت معدلات الترشيد المادى للمجتمع ، أى إعادة صياغته وصياغة الإنسان ذاته فى ضوء معايير المنفعة المادية والجدوى الاقتصادية (وهو عنصر أساسى فى منظومة الحداثة الغربية) ، وزاد معه تسلع الإنسان وتشيؤه (بما يعنى إزاحته عن المركز على أن تحل السلع والأشياء محله) .

وزادت نتيجة لذلك هيمنة النماذج الكمية والتكنوقراطية وتصاعدت عمليات التنميط وتغلغلت العلاقات البورجوازية

التعاقدية ، الأمر الذى أدَّى إلى تزايد هيمنة القيم البرانية المادية مثل : الكفاءة فى العمل فى الحياة العامة مع إهمال الحياة الخاصة - الاهتمام بدور المرأة العاملة (البرانية) مع إهمال دور المرأة الأم (الجوانية) - الاهتمام بالإنتاجية على حساب القيم الأخلاقية والاجتماعية الأساسية (مثل تماسك الأسرة وضرورة توفير الطمأنينة للأطفال) - اقتحام الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة لمجال الحياة الخاصة - إسقاط أهمية الإحساس بالأمن النفسى الداخلى - إسقاط أهمية فكرة المعنى باعتبارها فكرة ليست كمية أو مادية . . . إلخ

وقد لاحظ أحد علماء الاجتماع الغربيين (كريستوفر لاش) أنه منذ أواخر الستينيات أصبح من المستحيل على الأسرة الأمريكية أن تعيش على دخل واحد ، أى أنه لتحقيق البقاء المادى أصبح من اللازم على المرأة أن تصبح «يداً عاملة» و «وطاقة إنتاجية» و «مادة طبيعية برانية» ، وأصبح من الضرورى أن تتخلى عن وظائفها الإنسانية «التقليدية» مثل الأمومة ، أى أنه تم القضاء على آخر معقل ومأوى للإنسان وآخر مؤسسة وسيطة تقف بين الإنسان ورقعة الحياة العامة التى تديرها الدولة وتسيِّرها المؤسسات الاقتصادية ويوجهها قطاع اللذة .

وقد بلغ الترشيد (فى الإطار المادى) درجة عالية من الشمول وتغلغل فى كل جوانب الحياة العامة والخاصة حتى أصبح العمل الإنسانى Iabour هو العمل الذى يقوم به المرء نظير أجر نقدى

محسوب (كم محدد) خاضع لقوانين العرض والطلب ، على أن يؤديه فى رقعة الحياة العامة أو يصب فيه فى نهاية الأمر . وهذا التعريف يستبعد بطبيعة الحال الأمومة وتنشئة الأطفال وغيرها من الأعمال المنزلية ، فمثل هذه الأعمال لا يمكن حسابها بدقة ، ولا يمكن أن تنال عليها الأنثى أجراً نقدياً رغم أنها تستوعب جُل حياتها واهتمامها إن أرادت أن تؤديها بأمانة ، ولا يمكن لأحد مراقبتها أثناء أدائها فهى تؤديها فى رقعة الحياة الخاصة . باختصار شديد عمل المرأة فى المنزل هو عمل لا يمكن حساب «ثمنه» (مع أن «قيمته» مرتفعة للغاية) ، ولذا فهو ليس «عملاً» ، حتى أنه أصبح من الشائع الآن أن تجيب ربة البيت عن سؤال بخصوص نوعية عملها بقولها «لا أفعل شيئاً ، فأنا أمكث فى المنزل» ، بمعنى أن وظيفتها كأم (رغم أهميتها) وعملها كأم (رغم المشقة التى تجدها فى أدائه) هى «لا شىء» ، فهو عمل لا تتقاضى عنه أجراً ، ولا يتم فى رقعة الحياة العامة .

وهكذا تغلغلت المرجعية المادية (بتركيزها على الكمى والبرانى) وتراجعت المرجعية الإنسانية الهيومانية (بتركيزها على الكيفى والجوانى) وتراجع البعُد الإنسانى الاجتماعى الذى يفترض مركزية إنسانية وطبيعة إنسانية متفردة تتمتع بقدر عال من الثبات يميزها عن قوانين الطبيعة المادية المتغيرة ، وتم إدراك الإنسان خارج أى سياق اجتماعى إنسانى بحيث أصبح الإنسان كائناً طبيعياً مادياً كمياً لا يشغل أية مركزية فى الكون وليس له مكانة خاصة فيه ، يسرى عليه ما يسرى على الأشياء الطبيعية/ المادية

الأخرى ، أى أنه تم تفكيك الإنسان تماماً وتحويله من الإنسان المنفصل عن الطبيعة إلى الإنسان الطبيعى/ المادى ، الذى يتحد بها ويذوب فيها ويستمد معياريته منها ، فيفقد الدال «إنسان» مدلوله الحقيقى ، ويحل الكم محل الكيف والثمن محل القيمة .

ونحن نذهب إلى أن حركة الفيمينزم (التى نترجمها» بحركة التمركز حول الأنثى) هى تعبير عن هذا التحول ذاته وعن إزاحة الإنسان من مركز الكون وعن هيمنة الطبيعة/ المادة على الإنسان . وتترجم هذه الرؤية نفسها إلى مرحلتين :

ا) مرحلة واحدية إمبريالية وثنائية وواحدية صلبة ينقسم فيها العالم إلى ذكور متمركزين تماماً حول ذكورتهم ويحاولون أن يصرعوا الإناث ويهيمنوا عليهم ، وإلى إناث متمركزات تماماً حول أنوثتهن يحاولن بدورهن أن يصرعن الرجال ويهيمن عليهم .

ب) سرعان ما تنحل هذه الواحدية الإمبريالية والثنائية والواحدية الصلبة لتصبح واحدية مادية سائلة لا تعرف فارقاً بين ذكر أو أنثى . ولذا لا يتصارع الذكور مع الإناث وإنما يتفككون جميعهم ويذوبون فى كيان سديمى واحد لا معالم له ولا قسمات .

٤ - الواحدية الإمبريالية، والثنائية والواحدية الصلبة، والتمركز حول الأنثى

تؤكد حركة التمركز حول الأنثى فى إحدى جوانبها الفوارق العميقة بين الرجل والمرأة، وتصدر عن رؤية واحدية إمبريالية وثنائية الأنا والآخر الصلبة كأنه لا توجد مرجعية مشتركة بينهما، وكأنه لا توجد إنسانية جوهرية مشتركة تجمع بينهما. ولذا فدور المرأة كأم ليس أمراً مهماً، ومؤسسة الأسرة من ثم تُعدّ عبئاً لا يُطاق.

فالمرأة متمركزة حول ذاتها تشير إلى ذاتها، مكتفية بذاتها، تود «اكتشاف» ذاتها و «تحقيقها» خارج أى إطار اجتماعى، فى حالة صراع كونى أزلى مع الرجل المتمركز حول ذاته، وكأنها الشعب المختار فى مواجهة الأغيار، أى أنه بدأت عملية تفكيك تدريجية لمقولة المرأة كما تم تعريفها عَبْر التاريخ الإنسانى وفى إطار المرجعية الإنسانية، لتحل محلها مقولة جديدة تماماً تُسمَّى «المرأة» أيضاً ولكنها مختلفة فى جوهرها عن سابقتها. ومن ثم تتحول حركة التمركز حول الأنثى من حركة تدور حول فكرة الحقوق الاجتماعية والإنسانية للمرأة إلى حركة تدور حول فكرة الهوية، ومن رؤية خاصة بحقوق المرأة فى المجتمع الإنسانى إلى رؤية معرفية أنثروبولوجية اجتماعية شاملة تختص بقضايا مثل: دور المرأة فى التاريخ والدلالة الأنثوية للرموز التى يستخدمها الإنسان. وإذا كانت حركة تحرير المرأة تدور حول قضية تحقيق العدالة للمرأة داخل المجتمع، فإن حركة التمركز حول الأنثى تقف على النقيض

من ذلك ، فهى تصدر عن مفهوم صراعى للعالم حيث تتمركز الأنثى على ذاتها ويتمركز الذكر هو الآخر على ذاته ، ويصبح تاريخ الحضارة البشرية هو تاريخ الصراع بين الرجل والمرأة وهيمنة الذكر على الأنثى ومحاولتها التحرر من هذه الهيمنة .

وتذهب بعض التواريخ الأيديولوجية المتمركزة حول الأنثى إلى أن هيمنة الذكر على الأنثى تمت إثر معركة أو مجموعة من المعارك حدثت فى عصور موغلة فى القدم حينما كانت المجتمعات كلها مجتمعات أمومية (ماترياركى matriarchy) تسيطر عليها الإناث أو الأمهات ، وكانت الآلهة إناثاً ، وكان التنظيم الاجتماعى ذاته يتصف بالأنوثة ، أى بالرقة والوئام والاستدارة (التى تشبه نهود الإناث وعضو التأنيث) .

ثم سيطر الذكور وأسَّسوا مجتمعاً مبنياً على الصراع والسلاح (الذى يشبه عضو التذكير) وعلى الغزو (الذى يشبه اقتحام الذكر للأنثى) .

بل إن كل التاريخ أصبح يدور حول مركز واحد هو : الرجل - عضو التذكير- السلطة - الإله الذكر - الأب وهذه هى المجتمعات الأبوية البطريركية (بطرياركى patriarchay) . ويتحدث دعاة ما بعد الحداثة والتمركز حول الأنثى عن اللوجوس logos (أى الكلمة والمطلق والمركز) والفالوس phallus (أى عضو التذكير) . وهم يذهبون إلى أن العالم ليس متمركزاً حول اللوجوس وحسب (لوجوسنترك logo- centric) كما يدَّعى بعض الذكور من دعاة ما بعد الحداثة ، وإنما هو متمركز حول عضو التذكير (فالوجوسنترك phallogo -centric -) وسرد أحداث التاريخ من ثم يتم من وجهة نظر ذكورية بحتة ويستبعد الإناث تماماً . ومن ثم يرى دعاة

ما بعد الحداثة والتمركز حول الأنثى ضرورة وضع «نهاية» لهذا التاريخ وتفكيك هذا العالم الذكورى .

وانطلاقاً من هذه الرؤية للتاريخ ينادى دعاة التمركز حول الأنثى بالتجريب الدائم والمستمر ويطرحون برنامجاً ثورياً يدعو إلى إعادة صياغة كل شىء : التاريخ واللغة والرموز ، بل الطبيعة البشرية ذاتها كما تحققت عبر التاريخ وكما تبدت فى مؤسسات تاريخية وكما تجلت فى أعمال فنية ، فهذا التحقق والتبدى والتجلى إن هو إلا انحراف عن مسار التاريخ الحقيقى .

وفى مجال وضع هذا البرنامج «الثورى» موضع التنفيذ ينادى دعاة حركة التمركز حول الأنثى بضرورة إعادة سرد التاريخ من وجهة نظر أنثوية (أى متمركزة حول الأنثى) ، بل وأعيد تسمية التاريخ ، فهو بالإنجليزية (هستورى history) التى وجد بعض الأذكياء أنها تعنى «قصته his story فتقرر تغيير اسم التاريخ ليصبح «her story قصتها» ، أى أن تاريخ الذكور مختلف تماماً عن تاريخ الإناث (تماماً مثل «التاريخ اليهودى» المستقل عن «التاريخ الإنسانى») .

والرموز التى فرضها الذكور لابد أن تضاف لها رموز أنثوية تعبر عن الهوية الأنثوية المستقلة ، ومنتجات الإنسان الفنية لابد أن تعبِّر عن الأنثى وآلامها . ومن هنا التركيز الشديد فى الأدب الغربى الحديث على الجوانب الصراعية فى علاقة الرجل بالمرأة وعلى موضوعات أدبية مثل الاغتصاب . والهدف الأساسى لحركة التمركز حول الأنثى ، فى نهاية الأمر وفى التحليل الأخير ، هو رفع وعى النساء بأنفسهن كنساء ، وتحسين أدائهن فى المعركة الأزلية

مع الرجال وتسييسهن ، لا بالمعنى الشائع المتداول (أى أن يدرك الإنسان الأبعاد السياسية للظواهر المحيطة به ولحقوقه وواجباته السياسية) وإنما بمعنى أن ندرك أن كل شىء إنما هو تعبير عن هذا الصراع الكونى بين الذكور والأناث .

ويضرب تيرى إيجلتون مثلاً على التحليل التفكيكى ذى الاتجاه المتمركز حول الإنثى الذى يؤكد فكرة الصراع هذه ، وكيف أن أحد قطبى الصراع لابد أن يهيمن على الآخر ، فلا حب ولا تراحم ولا إنسانية مشتركة ، بل صراع شرس لا يختلف إلا من ناحية التفاصيل عن الصراع بين الطبقات عند ماركس ، أو الصراع بين الأنواع والأجناس عند داروين ، أو الصراع بين الجنس الأبيض والأجناس «المتخلفة» الأخرى حسب التصور العنصرى الإمبريالى الغربى . يقول تيرى إيجلتون :

«تذهب المجتمعات الذكورية المتمركزة حول الذكر إلى أن الرجل هو الأصل الثابت (المبدأ الأول – اللوجوس) والمرأة هى العكس .» ولكن المرأة ، فى واقع الأمر ، هى الأصل الآخر المسكوت عنه . والمرأة عكس الرجل ، هى ما يمكن أن يُشار إليه على أنه «الرجل الآخر» ، فهى ليست برجل وإنما هى رجل معيب ناقص حسب تصور المجتمعات الذكورية .

ولكن الرجل هو الرجل لا فى حد ذاته ، وإنما عن طريق استبعاد عكسه وإخفائه ، فهو يُعرِّف ذاته الرجولية كنقيض للمرأة ، فكل وجوده وهويته مرتبط تماماً بمحاولته تأكيد وجوده المستقل عن المرأة ، فهو يُعرِّف ذاته فى مواجهة المرأة ، والمرأة على علاقة قوية به

باعتبارها صورته العكسية . إنها صورة ما ليس هو ، وهى تعبير عن غيابه الذى يخاف منه ، فهو يريد تأكيد حضوره الكامل .

«ولكن المرأة تصبح بذلك عنصراً أساسياً فى تذكير الرجل بذاته ، فحضوره مرتبط بغيابها ، ولذا ، فإن الرجل يحتاج لهذا الآخر حتى حينما ينبذه ، ويضطر أن يعطى هوية إيجابية لما يعتبره لا شىء ، فكيانه معتمد عليها بشكل طفيلى ويتوقف وجوده على استبعادها ، وهو يستبعدها لأنها قد لا تكون هذا الآخر على أية حال . فلعلها إشارة على شىء فى الرجل ذاته ، شىء يود أن يكبته ويستبعده خارج وجوده وخارج حدوده فلعل ما هو خارج الرجل يوجد داخله ، وما هو غريب قريباً .

«لكل هذا يجد الرجل أنه فى حاجة ماسة إلى أن يحرس الحدود المطلقة بين عالمه وعالم المرأة بكل ما أوتى من قوة بسبب خوفه من أن تجاوز الحدود مسألة مطروحة وممكنة » فالحدود ليست كما قد تبدو لأول وهلة » .

فى هذا الخضم الدفاق من الكلمات والمفاهيم يتصور المرء أن الحديث قد يكون حديثاً عن مفهوم الحدود والأمن فى الدولة الصهيونية ، أو عن علاقة الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة إبّان فترة الحرب الباردة ، أو عن حروب الرجل الأبيض ضد شعوب آسيا وأفريقيا ، وليس عن علاقة الرجل بالمرأة . (أخبرتنى صديقة من رائدات حركة التمركز حول الأنثى أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هى فى جوهرها مواجهة سياسية [كذا] ، فكان ردى عليها : إما أنها لا تعرف شيئاً عن العلاقات الجنسية أو عن المواجهة السياسية) .

هذه الرؤية الصراعية الداروينية الشرسة تتبدَّى فى رؤية حركة التمركز حول الأنثى لأحاسيس كل من المرأة والرجل . ففى غياب الإنسانية المشتركة لا يمكن أن تكون هناك أحاسيس إنسانية مشتركة بين الذكر والأنثى ، فتركيبة جسدهما مختلفة وطبيعتها الفسيولوجية مختلفة (والإنسان الطبيعى/ المادى يعيش فى الجسد وحده ، فضاؤه محدد بفضاء الجسد) .

فالرجل على سبيل المثال لا يحمل ولا يلد ، ولذا فهو لا يمكنه أن يشعر بآلام المرأة ، وأحزانها وأفراحها ، فى فترة الحمل ولحظة الولادة ، فهى وحيدة مع جسدها (ولذا تقوم إحدى مستشفيات الولادة فى الولايات المتحدة بعقد دورات تدريبية للرجال حتى يتعلموا آلام المرأة . ومن ضمن التدريبات إعطاء الزوج بطناً منتفخاً من البلاستيك يرتديه كى يشعر بشعور زوجته الحامل ، وكأن الحمل والولادة مسألة مادية برانية تماماً : مجرد «حمل» للأثقال البلاستيك !) .

وتتبدَّى نفس السمة ، أى الانفصال الكامل فى الرؤية والأحاسيس بين الرجل والمرأة وإنكار وجود طبيعة بشرية مشتركة ، فى موقف حركة التمركز حول الأنثى من اللغة . إذ تذهب هذه الرؤية إلى أن لغة النساء مختلفة تماماً عن لغة الرجال ، فهى لغة ملتوية لعوب كجسد المرأة (الجسد مرة أخرى ؛ الجسد دائماً ؛ الجسد فى البداية والنهاية) . ولذا فالتواصل بين الذكر والأنثى ليس ممكناً وإن تم فهو ليس كاملاً ، ويتم الهجوم على ما يُسمَّى «ذكورة اللغة» والدعوة إلى «تأنيثها» واللغات التى تفضل صيغة

التذكير على صيغة التأنيث ، لابد أن يُعاد بناؤها بحيث تستخدم صيغاً محايدة أو صيغاً ذكورية أنثوية . ولذا كلمتا «هو» (بالإنجليزية : هى he) وهى (بالإنجليزية : شى she) على النحو التالى he / she أو s/he ، حتى لا يظن أحد أن هناك أى تفضيل للرجل على المرأة .

وفى محاولة التفريق الكامل بين الرجل والمرأة وتأنيث اللغة يُعاد كتابة كلمة «نساء women » على النحو التالى : «womyn» حتى لا تحتوى كلمة نساء بالإنجليزية « على كلمة «men» ، أى رجال والعياذ بالله ، ولوحظ أن «رجل الثلج» «رجل» ومن ثم تم تعديل اسمه ليصبح بدلاً من سنومان snowman إلى «امرأة الثلج» (بالإنجليزية : سنوومان snowwoman) أو حتى «إنسان الثلج» (بالإنجليزية : سنوبرسون snowperson) .

ونفس الشىء ينطبق على الكلمات المستخدمة للإشارة إلى الذات الإلهية فيجب الابتعاد عن الإشارة إلى الإله باعتباره ذكراً ، إذ يجب أن يُشار إليه باعتباره ذكراً وأنثى فى ذات الوقت ، فيُقال على سبيل المثال «إن الخالق هو الذى / هى التى ، وضع / وضعت . . . إلخ» ، بل ويُشار إليه أحياناً بالمؤنث وحسب ، فهو «ملكة الدنيا» ، و «سيدة الكون» . كما أن بعض دعاة حركة التمركز حول الأنثى يستخدمون كلمات لا جنس لها (بالإنجليزية : أن جندرد ungendered) مثل : «فريند friend» (صديق) و «كومبانيون compamion » (رفيق) و «كو كريتور co - creator « (المشارك فى الخلق) للإشارة إلى الإله .

وكل هذا من لغو الحديث ، وهو ليس برنامجاً للإصلاح وإنما هجوم على اللغة البشرية وحدودها وتشويه لها . فهل نحن نفكر فى «المقاومة» باعتبارها أنثى وفى «الصمود» باعتباره ذكراً؟ وهل نفكر فى «الأمانة» و «الخيانة» باعتبارهما إناثاً ، أما «الملاك» و «الشيطان» فنفكر فيهما باعتبارهما ذكوراً؟ وحينما نقول «أبواب» ، هل نفكر فى أعضاء التذكير ، بينما نفكر فى أعضاء التأنيث حينما نقول «بوابات» ، أم أن هذا هو وجدان الحلوليين الطبيعيين الماديين الذين يستخدمون الجسد كعنصر أساسى لإدراك كل شىء؟ ثم تضيق الدائرة لتصبح أعضاء التذكير والتأنيث هى الصور المجازية الوحيدة التى يمكنهم إدراك العالم من خلالها؟ وهل يمكن أن يكون استخدام كلمة «إنسان» (وهى تعبير عن الذكر والأنثى) حلاً للمشكلة؟ الإجابة ، بطبيعة الحال ، بالنفى ، لأن المهم من وجهة نظر المتمركزين حول الأنثى هو طرح برامج إصلاحية مستحيلة ، غير قابلة للتنفيذ ، وإجراء تجارب مستمرة بلا ماضى ولا ذاكرة ولا فهم ، وذلك حتى يتم تقويض حدود اللغة القائمة والمرجعية الإنسانية المشتركة المتجاوزة وكل المنظومات القيمية .

وتتضح الرؤية الواحدية والثنائية الصراعية الصلبة فى الإشارات المتكررة فى أدبيات حركة التمركز حول الأنثى إلى المرأة باعتبارها أقلية ، وكلمة «أقلية» هنا لا تعنى أقلية عددية مضطهدة وإنما تعنى فى واقع الأمر أنه لا توجد أغلبية من أى نوع (إنسانية مشتركة) ولا يوجد معيار يحكم به ، فالجميع متساوون ولا يمكن الحكم على أحد .

وتصل هذه الرؤية قمتها (أو هوتها) حينما تقرر الأنثى أن تدير ظهرها للآخر / الذكر تماماً ، فهى مرجعية ذاتها وموضع الحلول ولا تشير إلا إلى ذاتها ، فهى سوبرومان superwoman ، ولذا تعلن استقلالها الكامل عنه ، وحينئذ يصبح السحاق التعبير النهائى عن الواحدية الصلبة ، وهو الأمر الطبيعى الوحيد المتاح للمرأة التى ترفض أن تؤكد «إنسانيتها المشتركة» التى لا يمكن أن تتحقق إلا داخل إطار اجتماعى وسياق تاريخى ، وبدلاً من ذلك تؤكد «نسوانيتها» ، أى ذاتها الأنثوية المنفصلة التى لا توجد فى أى سياق تاريخ أو داخل أى إطار اجتماعى .

وكما قالت إحدى دعاة التمركز حول الأنثى المساحقات : «إذا كانت الفيمينزم هى النظرية ، فالسحاق هو التطبيق » If feminism is the theory, lesbianism is the practice » .

ويصبح من الطبيعى ألا تلجأ المرأة للرجل لإنجاب الأطفال ، بل يمكن أن تلجأ للمعامل والإجراءات العلمية «الطبيعية» المختلفة (المعقَّمة من التاريخ والمجتمع والقيم) التى تستبعد الرجل كشريك فى إنسانية مشتركة .

وهكذا تُصفى الازدواجية تماماً ويُحسم الصراع لنصل إلى حالة من الواحدية الأنثوية الصلبة والتمركز اللا إنسانى حول الذات الأنثوية ، وإلى نهاية التاريخ المتمركزة حول الأنثى .

٥ - الواحدية السائلة وذوبان الأنثى

فكر التمركز حول الأنثى ينتمى إلى نمط أساسى فى الفكر المادى أشرنا إليه من قبل (الانتقال من التمركز حول الذات الإنسانية إلى التمركز حول الطبيعة/ المادة ، ومن عالم يحوى مركزه داخله إلى عالم بلا مركز) . ولذا نجد أن تفكيك مقولة المرأة (الإنسان الإنسان) يأخذ شكلين متناقضين ، أولهما هو الذى تناولناه فى الجزء السابق من هذه الدراسة ، أى تحول المرأة إلى كائن متمركز حول ذاته يشير إلى ذاته مما أدّى إلى ظهور التمركز المتطرف حول الذات الأنثوية والعداء الشرس للذكور والصراع الداروينى المستمر بينهما (واحدية إمبريالية وثنائية وواحدية صلبة) . أما الشكل الثانى فهو ما سميته «الواحدية السائلة» . والواحدية السائلة كامنة فى الواحدية الصلبة ، فبعد أن تتحول المرأة من إنسان إنسان إلى كائن طبيعى/ مادى يُرد إلى عناصر مادية ويُفسَّر فى إطارها ، بحيث لا تشير المرأة إلى ذاتها وإنما إلى الطبيعة/ المادة ، يتم تسويتها بالرجل أو الإنسان الطبيعى فى جميع الوجوه بحيث لا تختلف عنه فى أى شىء ، دورها لا يختلف عن دوره ، فكلاهما إنسان طبيعى/ مادى ، وما يجمعهما ليس إنسانيتهما المشتركة وإنما ماديتهما المشتركة ، فيتم اختزالهما إلى مستوى طبيعى/ مادى عام واحد لا يكترث بذكورة الذكر أو أنوثة الأنثى أو يسوِّى بينهما ، فالقانون الطبيعى/ المادى العام لا يكترث بالخصوصية أو الثنائية . كما أن العالم متعدد المراكز لا يكترث بأية فروق ظاهرة أو باطنة ، فهو عالم سائل لا مركز له ، لا يمكن إصدار أحكام على أى شىء .

كل هذا يؤدى إلى ظهور الجنس الواحد أو الجنس الوسط بين الجنسين (بالإنجليزية : يونى سكس unisex) ، أى أنه تم رد الواقع

إلى عنصر واحد أو مبدأ واحد ينكر أى شكل من أشكال عدم التجانس أو أى تنوع ، بل وينكر وجود ثنائية ذكر/ أنثى ، فالذكر مثل الأنثى والأنثى مثل الذكر وكلاهما مجرد إنسان طبيعى/ مادى . وهكذا تتحول السوبرومان superwoman ، عدوة الرجل ، إلى سبومان subwoman ، ليس لها هوية أنثوية مستقلة ، فهى أقل من امرأة ، امرأة ناقصة ، تبذل قصارى جهدها أن تكون «كاملة» ، أى متطابقة تماماً مع الرجل .

ولكن فى كلتا الحالتين سواء كانت سوبرومان أم سبومان ، ليست المرأة هى الأم - الزوجة - الأخت - الحبيبة التى نعرفها والتى لها دور مستقل داخل إطار الجماعة الإنسانية الشاملة التى تضم الذكور والإناث والصغار والكبار وإنما هى شىء جديد تماماً ، ومع هذا يُطلق عليه اصطلاح «امرأة» .

وبسقوط الأم الزوجة والمرأة ، تسقط الأسرة ويتراجع الجوهر الإنسانى المشترك ويصبح كل البشر أفراداً طبيعيين لكلٍّ مصلحته الخاصة وقصته الصغرى الخاصة ؛ كل إنسان مثل الذرة التى تصطدم بالذرات الأخرى وتتصارع معها ، والجميع يجابهون الدولة وقطاع اللذة والإعلانات بمفردهم ، ويسقطون فى قبضة الصيرورة ، ويتم تسوية الجميع بالحيوانات والأشياء ، وتسود الواحدية السائلة التى لا تعرف الفرق بين الرجل والمرأة أو بين الإنسان والأشياء .

ويتم الإشارة إلى الإله فى مرحلة الواحدية السائلة هذه لا باعتباره هو أو هى ، إذ يصل الحياد قمته والسيولة منتهاها ، فيُشار إليه ، كما ورد فى إحدى ترجمات الإنجيل الأخيرة ، باعتباره ذكراً وأنثى وشيئاً . فالإله هو he/ she/ it . ومن الصعب على المرء أن يقرر ما إذا كانت هذه هى نهاية السيولة ، أم أن هناك المزيد؟ فالتجريب المنفتح فى اللغة والتاريخ والعلاقات بين البشر مسألة لا سقف ولا حدود ولا نهاية لها .

٦ - حركة التمركز حول الأنثى والنظام العالمى الجديد

إن دعاة حركة تحرير المرأة يدركون تماماً الحقيقة البديهية الإنسانية البسيطة وهى أن ثمة اختلافات (بيولوجية ونفسية واجتماعية) بين الرجل والمرأة ، وهى اختلافات تتفاوت - من منظور سلوك كل منهما - فى درجات العمق والسطحية . وتعبِّر عن نفسها فى اختلاف فى توزيع الأدوار بينهما وفى تقسيم العمل ، ولكن بدلاً من أن يحاول دعاة حركة تحرير المرأة محو هذه الاختلافات والقضاء عليها قضاءً مبرماً فإنهم يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون تحولها إلى ظلم وتفاوت اجتماعى أو إنسانى يؤدى إلى توسيع الهوة بين الذكور والإناث .

أما دعاة حركة التمركز حول الأنثى فيتأرجحون وبعنف بين رؤية مواطن الاختلاف بين الرجل والمرأة باعتبارها هوة سحيقة لا يمكن عبورها من جهة ، وبين إنكار وجود أى اختلاف من جهة أخرى .

ولذا فهم يرفضون فكرة توزيع الأدوار وتقسيم العمل ويؤكدون استحالة اللقاء بين الرجل والمرأة ، ولا يكترثون بفكرة العدل ويحاولون إما توسيع الهوة بين الرجال والإناث أو تسويتهم بعضهم بالبعض ، فيطالبون بأن يصبح الذكور آباء وأمهات فى الوقت نفسه ، وأن تصبح الإناث بدورهن أمهات وآباء .

ولعل الهندسة الوراثية ستحل كثيراً من هذه «المشاكل» وستفتح باب التجريب اللامتناهى على مصراعيه بحيث يصبح بإمكان

الرجل أن «يحمل» طفلاً (وليس مجرد بطن بلاستيك) ، ويمكن تجاوز مشقات الحمل نفسها من خلال عمليات الاستنساخ المريحة .

كما أن تعديل القوانين فى الغرب سيتكفل بكل ما قد يتبقى من «مشاكل» شكلية قد تضع حدوداً على عملية التجريب ، إذ بإمكان الأنثى أن تتزوج من أنثى أو من رجل حسب ما يسمونه «التفضيل الجنسى sexual preference » . بل إن الأمر يمتد ليشمل الأحاسيس الجوانية ذاتها ، فالمرأة الحقيقية يجب ألا تختلف مشاعرها عن مشاعر الرجل ، والرجل الحقيقى يجب ألا تختلف مشاعره عن مشاعر الأنثى .

وتقوم هوليود (أكبر آلية عرفها الجنس البشرى لنشر الأفكار وإشاعة الرؤى) بدور نشط فى هذا المضمار ، إذ بدأت تظهر أفلام فيها إناث يغوين الرجال ، ورجال تحمر وجوههن من النساء (ولا مانع من استخدام نون النسوة هنا ، حتى نحطِّم حدود اللغة تماماً) ، وليس الهدف من كل هذا هو توسيع آفاقنا وتحطيم القوالب الذهنية الجامدة التى يتعامل كل جنس مع الآخر من خلالها وسجنه فيها ، وإنما هو ضرب فكرة المعيارية والإنسانية المشتركة فى الصميم حتى يتم تسوية الجميع . ولعل العلم الحديث ، بما حقق من «تقدم» مذهل ، قد يساعد فى هذا المضمار بحيث يمكن للرجل أن يتناول كبسولة متمركزة حول الأنثى فيشعر بشعور الإناث ويتم تسويته تماماً من الداخل ، وتتناول المرأة هى الأخرى كبسولة متمركزة حول الذكر فتشعر بشعوره ويتم تسويتها من الداخل .

إن حركة تحرير المرأة ، فى نهاية الأمر وفى التحليل الأخير ، ترى أن ثمة إنسانية مشتركة بين كل البشر ، رجالاً ونساء ، وأن هذه

الرقعة الواسعة المشتركة بيننا هى الأساس الذى نتحاور على أساسه والإطار الذى نبحث داخله عن تحقيق المساواة . ولذا يمكن للرجل أن ينضم إلى حركة تحرير المرأة ، ويمكنه أن يدخل فى حوار بشأن ما يُطرح من مطالب لضمان تحقيق العدالة للمرأة . ويمكن للمجتمع الإنسانى ، بذكوره وإناثه ، أن يتبنّى برنامجاً للإصلاح فى هذا الاتجاه ، ويمكن لكل من الرجال والنساء تأييده والوقوف وراءه .

أما حركة التمركز حول الأنثى فهى تنكر الإنسانية المشتركة ولذا لا يمكن أن ينضم لها الرجال ، فالرجل ، باعتباره رجلاً ، لا يمكنه أن يشعر بمشاعر المرأة ، كما أنه مذنب يحمل وزر التاريخ الذكورى الأبوى ، رغم أنه ليس من صنعه . كما تنكر حركة التمركز حول الأنثى الاختلاف ، ومن ثم لا مجال للتنوع ولا مجال لوجود الإنسانية كما نعرفها .

لكل هذا لا يوجد برنامج للإصلاح فى حركة التمركز حول الأنثى ولا توجد محاولة جادة لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة أو إلى تغيير القوانين أو السياق الاجتماعى للحفاظ على إنسانية المرأة باعتبارها أماً وزوجة وابنة وعضواً فى الأسرة أو المجتمع . وإن كان ثمة برنامجا للإصلاح فسنجد أنه يصدر عن إطار تفكيكى يهدف إما إلى زيادة كفاءة المرأة فى عملية الصراع مع الرجل أو إلى تسويتها معه ، أى أنه فى جميع الحالات ثمة إنكاراً للإنسانية المشتركة . ولذا فالبرنامج الإصلاحى هو برنامج يهدف إلى تغيير الطبيعة البشرية ومسار التاريخ والرموز واللغات .

٧ - حركة التمركز حول الأنثى والصهيونية

من الأمور الجديرة بالنظر والتدبر أن ثمة نقط تشابه واضحة بين حركة التمركز حول الأنثى وحركة مادية إمبريالية أخرى وهى الحركة الصهيونية ، التى تنكر الإنسانية المشتركة فتقسم البشر بصرامة بالغة إلى يهود وأغيار ، وتصدر عن الإيمان بأن الأغيار (كل الأغيار) يحملون وزر تاريخ الاضطهاد الدائم لليهود (كل اليهود) . وعزلة الأغيار عن اليهود كاملة إلى درجة أن الواحد لا يمكنه أن يشعر بشعور الآخر ، فكل إنسان جزيرة مغلقة ، مكتفية بذاتها ، مرجعية ذاتها .

ومن ثم يواجه اليهود العالم وحدهم فى عزلتهم وبراءتهم وفرادتهم ومعاناتهم التى لا يشاركهم فيها أحد . فاليهود شعب مختار ، له سماته الخاصة ، وله حقوقه المطلقة ، ورسالته الخالدة ، وعذابه الخاص ، فهو موضع الحلول والكمون ، مرجعية ذاته ، يستمد معياريته منها .

وهو شعب لا يمكن أن يهدأ له بال إلا بأن يعود إلى أرض أسلافه (فى فلسطين) حيث يمكنه أن يتمتع بحقوقه المطلقة ، ولذا لا تبذل الحركة الصهيونية أى مجهود فى محاولة الدفاع عن الحقوق المدنية والسياسية والدينية لأعضاء المجتمعات اليهودية فى مجتمعاتهم .

فمثل هذه الجهود (التى تنبع من الإيمان بالإنسانية المشتركة والتى يمكن أن يساهم فيها كل مدافع عن حقوق الإنسان وكل متعاطف مع المستضعفين) هى فى واقع الأمر إحباط للمشروع الصهيونى الذى يرمى إلى وضع نهاية لتاريخ اليهود فى المنفى

وتهجير اليهود إلى فلسطين للقيام بتجربة جديدة تماماً تقع خارج نطاق التاريخ اليهودى ، وهى تجربة الدولة القومية ذات السيادة .

فى هذا الإطار توجه الحركة الصهيونية جُل جهودها لتعميق الهوة بين اليهود والأغيار لتحسين أداء اليهودى فى عملية الصراع حتى ينسلخ عن مجتمع الأغيار «ويعود» إلى فلسطين بعد غياب مدة ألفى عام .

وفى هذا الإطار يصبح أعداء السامية (أى أعداء اليهود) «أصدق أصدقائنا» (على حد قول مؤسس الحركة الصهيونية « تيودور هرتزل) .

ولنلاحظ هنا بعض الثنائيات الصلبة : اليهود ضد الأغيار - شعب معذب فى كل مكان مقابل شعب مختار - شعب لا حقوق له مقابل شعب له حقوق مطلقة .

ولنلاحظ أن هذه الثنائية الصلبة تتحول إلى واحدية صهيونية صلبة فى الدولة الصهيونية المستقلة ، الدولة اليهودية الخالصة ، حين يصبح المستوطنون هم وحدهم أصحاب الحقوق المطلقة ، فيجد العرب أنفسهم فى مجتمعات اللاجئين تنهمر عليهم القنابل باسم الدفاع عن الذات اليهودية الخالصة !

ولكن كما هو الحال فى كل الحركات المادية تنحل الواحدية الإمبريالية والثنائية والواحدية الصلبة إلى واحدية سائلة ، فالصهيونية التى تؤكد حقوق اليهود المطلقة وفرادتهم الكاملة وترفض التعاون مع الأغيار ترى أن وجود اليهود فى المنفى هو حالة «غير طبيعية» ، أى أن الفريد يتحول إلى الشاذ .

ولذا ترى الصهيونية أنه لابد من «تطبيع» اليهود ، أى تحويلهم إلى كائنات طبيعية « يعيشون فى دولة قومية عادية ، لا يختلفون عن بقية شعوب الأرض .

وقد انتهى الأمر بالحركة الصهيونية التى تنادى بحقوق مطلقة لليهود وبسيادة مطلقة للدولة وسمات يهودية مطلقة للمجتمع بأن أسست دولة ذات توجه أمريكى واضح فى عالم السياسة والثقافة وتعتمد بشكل شبه كامل على دعم الأغيار الأمريكيين!

وهذا هو النمط نفسه الذى وجدناه فى حركة التمركز حول الأنثى ، فمن جهة ثمة تأكيد لتفرُّد اليهود وعداء الأغيار لهم لا يختلف كثيراً عن اتجاه حركة التمركز حول الأنثى نحو إعلان الحرب على الرجال ، ومن جهة أخرى ثمة محاولة نشطة تُبذل لدمج اليهود فى عالم الأغيار والذوبان فيه ، لا تختلف بدورها كثيراً عن محاولة الأنثى الذوبان فى الرجل وظهور الـ uni - sex .

والعالم الغربى الذى ساند الدولة الصهيونية (التى تحاول تفكيك العالم العربى والإسلامى سياسياً وحضارياً) يساند بنفس القوة حركات التمركز حول الأنثى فى بلادنا (ولعل نشاط السفارة الهولندية فى القاهرة فى هذا المضمار مثلاً واضحاً على ذلك يستحق المزيد من الدراسة) .

فالعالم الغربى الذى أخفق فى عملية المواجهة العسكرية المباشرة مع العالم الثالث ، اكتشف أن هذه المواجهة مكلفة وطويلة ولا طاقة له بها ، ومن ثم فالتفكيك هو البديل العملى الوحيد .

كما أدرك العالم الغربى أن نجاح مجتمعات العالم الثالث فى مقاومته يعود إلى تماسكها ، الذى يعود بدوره إلى وجود بناء أُسَرِىّ قوى ، لا يزال قادراً على توصيل المنظومات القيمية والخصوصيات القومية إلى أبناء المجتمع ، ومن ثم يمكنهم الاحتفاظ بذاكراتهم التاريخية وبوعيهم بثقافتهم وهويتهم وقيمهم .

وهذا ولا شك يعنى التصدى لعملية العولمة ، التى تعنى الترشيد (داخل الإطار المادى الغربى) لكل المجتمعات بحيث يتحول العالم فى نهاية الأمر وفى التحليل الأخير إلى سوق واحد متجانس يخضع لقوانين العرض والطلب المادية ، يتحرك فيه نفس البشر والسلع فى نفس الحيز الأملس ، بلا سدود أو حدود أو منظومات قيمية تعوق هذه الحركة .

وإذا كانت الأسرة هى اللبنة الأساسية فى المجتمع ، فإن الأم هى اللبنة الأساسية فى الأسرة ومن هنا تركيز النظام العالمى الجديد على قضايا الأنثى . فالخطاب المتمركز حول الأنثى هو خطاب تفكيكى يعلن حتمية الصراع بين الذكر والأنثى وضرورة وضع نهاية للتاريخ الذكورى الأبوى وبداية التجريب بلا ذاكرة تاريخية ، وهو خطاب يهدف إلى توليد القلق والضيق والملل وعدم الطمأنينة فى نفس المرأة عن طريق إعادة تعريفها بحيث لا يمكن أن تتحقق هويتها إلا خارج إطار الأسرة . وإذا انسحبت المرأة من الأسرة تآكلت الأسرة وتهاوت ، وتهاوى معها أهم الحصون ضد التغلغل الاستعمارى والهيمنة الغربية وأهم المؤسسات التى يحتفظ الإنسان من خلالها بذاكرته التاريخية وهويته القومية ومنظومته القيمية .

وبذلك يكون قد نجح النظام العالمى الجديد من خلال التفكيك فى تحقيق الأهداف التى أخفق فى تحقيقها النظام الاستعمارى القديم من خلال المواجهة المباشرة .

٨ - البحث عن بديل

من الأجدر بنا أن ندرس قضية المرأة داخل إطارها التاريخى والإنسانى ، فندرك أن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية لها سماتها الخاصة . كما يجب أن ننفض عن أنفسنا غبار التبعية الإدراكية ونبحث عن حلول لمشاكلنا نولِّدها من نماذجنا المعرفية ومنظوماتنا القيمية والأخلاقية ومن إيماننا بإنسانيتنا المشتركة ، وهى منظومات تؤكد أن المجتمع الإنسانى يسبق الفرد (تماماً كما يسبق الإنسان الطبيعة/ المادة) .

ولذا بدلاً من الحديث عن «حقوق الإنسان» ، إنسان روسو الطبيعى الذى يعيش حسب قوانين الطبيعة ، مما يضطرنا إلى الحديث عن «حقوق المرأة» الفرد ، ثم أخيراً عن «حقوق الطفل» الفرد ، قد يكون من الأجدر بنا أن نتحدث عن «حقوق الأسرة» كنقطة بدء ثم يتفرع عنها وبعدها «حقوق الأفراد» الذين يكوِّنون هذه الأسرة ، أى أننا سنبدأ بالكل (الإنسانى الاجتماعى) ثم نتبعه بالأجزاء (الفردية) .

ولو اتبعنا هذا النموذج ، واتخذنا الأسرة نقطة بدء ووحدة تحليلية ، فإن الحديث عن «تحقيق الذات بشكل مطلق» يصبح أمراً ممجوجاً ومرفوضاً ولابد أن يحل محله الحديث عن «تحقيق الذات داخل إطار الأسرة» .

وبدلاً من الحديث عن «تحرير المرأة» كى «تحقق ذاتها» ولذتها ومتعتها ، قد يكون من المفيد أن ندرس ما حولنا لنكتشف أن أزمة

المرآة هى ، فى واقع الأمر ، جزء من أزمة الإنسان فى العصر الحديث والتى تنبع من هذه الحركية الهائلة المرتبطة بتزايد معدلات الاستهلاك ، التى تسم إيقاع حياتنا الحديثة ، ومن وجود هذه الاختيارات الاستهلاكية التى لا حصر لها ولا عدد والتى تحاصرنا وتحد من حركتنا . إن الدراسة المتأنية ستبين لنا أن المشكلة تنبع من أن الرجل قد تم «تحديثه» بشكل متطرف وتم استيعابه فى هذه الحركية الاستهلاكية العمياء بحيث أصبحت البدائل المطروحة أمامه تفوق بكثير البدائل المطروحة أمام المرأة . ولكن بما أن هذه الحركية الاستهلاكية المتطرفة هى أحد أسباب أزمة الإنسان الحديث قد يكون من الأكثر رشداً وعقلانية ألا نطالب بـ «تحرير المرأة» وألا نحاول أن نقذف بها هى الأخرى فى عالم السوق والحركية الاستهلاكية ، وأن نطالب بدلاً من ذلك بتقييد الرجل أو وضع قليل من الحدود عليه وعلى حركيته بحيث نبطئ من حركته فينسلخ قليلاً عن عالم السوق والاستهلاك وبذلك يتناسب إيقاعه مع إيقاع المرأة والأسرة وحدود إنسانيتنا المشتركة .

وانطلاقاً من هذه الرؤية لابد أن يُعاد تعليم الرجل بحيث يكتسب بعض خبرات الأبوة والعيش داخل الأسرة والجماعة ، وهى خبرات فقدها الإنسان الحديث مع تآكل الأسرة ومع تحركه المتطرف فى رقعة الحياة العامة . وبهذه الطريقة سيكون بوسع الرجل أن يشارك فى تنشئة الأطفال ، وأن يعرف عن قرب الجهد الذى تبذله المرأة/ الأم ، ومن ثم يمكن لإنسانيتنا المشتركة أن تؤكد نفسها مرة أخرى .

وهذه استراتيجية لا تختلف كثيراً عن استراتيجية جماعات

الدفاع عن البيئة (الخضر) . فهم يطالبون الإنسان الغربي بأن يخفض من حرارة المجتمعات الغربية وأن ينسلخ قليلاً عن أيديولوجية التقدم والغزو والإنجاز والإنتاجية على أن يحل محلها أيديولوجية الاتزان والتوازن مع الطبيعة والذات وإشباع الحاجات الإنسانية الأساسية بحيث يتناسب إيقاع المجتمع مع إيقاع الإنسان .

ولعله قد يكون من المفيد ألا نتحدث عن «حق المرأة فى العمل» (أى أن تعمل فى رقعة الحياة العامة نظير أجر) ، أى العمل المنتج مادياً الذى يؤدى إلى منتج مادى (سلع - خدمات) . ونعيد صياغة رؤية الناس بحيث يُعاد تعريف العمل فيصبح «العمل الإنسانى» ، أى العمل المنتج إنسانياً (وبذلك نؤكد أسبقية الإنسانى على المادى والطبيعى) . وهنا تصبح الأمومة أهم «الأعمال المنتجة» (وماذا يمكن أن يكون أكثر أهمية من تحويل الطفل الطبيعى إلى إنسان اجتماعى؟) . ومن ثم يقل إحساس المرأة العاملة فى المنزل بالغربة وعدم الجدوى ، ويزداد احترام الرجل لها ويكف الجميع عن القول بأن المرأة العاملة فى المنزل لا تعمل ، وكأن عمل سكرتيرة فى إحدى شركات التصدير والاستيراد أو إحدى شركات السياحة أكثر أهمية وجدوى من تنشئة الأطفال !

ولعلنا قد نكتشف طرقاً جديدة لإعادة إنتاج الأسرة الممتدة بما توفره للإنسان من طمأنينة داخل المدينة الحديثة ذات الطرق القاسية والإيقاع المرعب ، كأن نطور طرزاً معمارية تُفعِّل الجيرة كمؤسسة وسيطة تشبه فى وظيفتها الأسرة الممتدة .

وقد يمكننا التوصل ليوم عمل يمكن تقطيعه وتقسيمه ليتناسب

مع مؤسسة الأسرة ولا يتعارض مع محاولة المرأة أن تقوم بدورها كأم وكزوجة ، بل إنه يمكن تعديل رقعة الحياة العامة ذاتها ومكان العمل بحيث يُخلق داخله حيز إنسانى .

ويمكننا أن نعيد بعث الاقتصاد العائلى (بالإنجليزية : فاميلى إيكونومى family economy) الذى أثبت كفاءته ومقدرته على الاستمرار وإنتاجيته العالية فى المجتمعات الحديثة والتى يُقال لها «متقدمة» (سواء فى اليابان أو الولايات المتحدة) . ولكن ما يهمنا هنا أنه شكل من أشكال علاقات الإنتاج التى لا تقوض الأسرة وتفككها ، ويمكن للمرأة أن تشارك فيه دون أن تفقد هويتها كأم وزوجة . ويمكن أيضاً تطوير نظم تعليمية جديدة بحيث يمكن للمرأة أن تتعلم وتستمر فى تعليمها دون أن نولِّد داخلها التوترات بين الرغبة المحمودة فى التعلم والنزعة الكونية نحو الأمومة .

وهذه الاقتراحات الأولية تهدف إلى تقليل الأعباء النفسية الناجمة عن الأمومة ، وتحرير المرأة بعض الشىء من الأعباء المنزلية البدنية ، بحيث نخلق حيزاً خاصاً بها يمكنها أن تمارس فيه إنسانيتها دون أن تضطر إلى تحطيم الأسرة ودون أن تجعل تحقيق ذاتها مشروطاً بتخليها عن الأسرة وعن دورها الاجتماعى .

ويجب أن يواكب هذا دراسة جادة ومتعمقة ، نقدية وخلاقة لظاهرة تحرير المرأة فى الغرب داخل إطار الترشيد المادى وإطار الفكر المادى الصراعى الواحدى المتمركز حول الأنثى . فعلى سبيل المثال يمكن أن ندرس المشاكل الناجمة عن تآكل الأسرة وتكلفتها

الاجتماعية والمادية . وقد قرأت فى إحدى الدراسات أن انسحاب المرأة من الأسرة واستيعابها فى آليات السوق والحركية الاستهلاكية وتحولها إلى «طاقة عاملة» فى رقعة الحياة العامة و «وحدة إنتاجية» فى سوق العمل يؤدى إلى غربة شديدة عند الأطفال مما يحولهم إلى عناصر مدمرة . وقد رأى الباحث صاحب الدراسة أن عمليات التخريب المتعمد فى المدارس (school vandalism) تكلف البلايين من الدولارات وأنها مرتبطة تمام الارتباط بظاهرة اختفاء الأم . كما يمكن أيضاً حساب الخسارة النفسية للطفل والتى يمكن ترجمتها مادياً إلى أرقام . وهل يمكن أيضاً ربط ارتفاع معدلات الطلاق بمعدلات انسحاب المرأة من الأسرة ومن دور الأمومة؟ (يكلف الطلاق فى الولايات المتحدة بلايين الدولارات أيضاً) . ومن المعروف أن شركات التأمين ترفع أقساط التأمين على كل من يُطلِّق لأنه يرتكب عدداً أكبر من الحوادث .

ويمكن الإشارة هنا إلى ما يُسمَّى ظاهرة «تأنيث الفقر» (fminization of poverty) التى أصبحت ظاهرة اجتماعية معروفة فى الولايات المتحدة ، إذ يبدو أنه فى إطار حرية المرأة وحرية الرجل ، يتعايش رجل مع امرأة تنجب منه طفلاً أو طفلين عادةً دون أن يرتبطا بعقد زواج . وبعد فترة قصيرة أو طويلة يتملك الرجل الملل وتنشب المعارك بين الطرفين فيقرر الرجل أن «يحقق ذاته» خارج إطار الأسرة فيحمل متاعه ويذهب ، تاركاً الأم المهجورة وحدها ، ترعى الطفلين . فتزيد أعباءها النفسية والاجتماعية والاقتصادية (مهما دفع الرجل من نفقة) وازداد الرجال متعة

وحركية استهلاكية ، أى أنه تم تأنيث الفقر ، ويمكن أن نضيف أنه تم كذلك تأنيث الجهد النفسى والإرهاق البدنى .

ولعل هذا من أهم الأسباب السوسيولوجية لزيادة معدلات السحاق فى المجتمعات الغربية فهو يحل مشكلة ضرورة تفريغ الطاقة الجنسية للأنثى دون أن يدخلها فى دوامة العلاقة مع الرجل التى توردها موارد التهلكة والفقر والألم والهجران .

كما يمكن أن ندرس إنتاجية المجتمع ككل فى إطار خروج المرأة للعمل فى حقل الحياة العامة بدلاً من العمل فى حقل الحياة الخاصة . فهناك من الدراسات ما يشير إلى إنتاجية المجتمع على مستوى الماكرو تتزايد مع اضطلاع المرأة بدور الزوجة والأم ، إذ أنها تقوم بتربية الأطفال تربية صالحة ، فيصبحون أعضاء منتجين فى المجتمع ، كما أنها تهدئ من روع الجميع : الزوج والأبناء عند عودتهم من رقعة الحياة العامة ، فيستعيد الجميع توازنهم وتتزايد إنتاجيتهم .

وثمة دراسات تشير إلى أن قلق المرأة بخصوص هويتها وذاتها قد تزايد مع فقدانها وظيفتها ومكانتها كأم وزوجة ، وأن هذا القلق له مردود سلبى للغاية على صحتها النفسية وعلى محاولتها تحقيق ذاتها ، وأنه هو الذى يؤدى إلى محاولة المرأة التشبه الشرس بالرجل ، وظهور الـ uni - sex .

كما يجب أن نضع نصب أعيننا أثر كل مشروع اقتصادى إنتاجى على بناء الأسرة وعلى دور المرأة كأم فهناك حديث «عالمى»

عن «الخصخصة» ، ولم يدرس أحد أثر الخصخصة علينا كبشر ، وتكلفتها المعنوية والمادية (مع العلم بأن التكلفة المعنوية تترجم نفسها بعد قليل إلى تكلفة مادية يمكن حسابها كمياً بشيء من الجهد) . وأعتقد أن الخصخصة بلا ضابط سيكون لها أثر مدمر على الأسرة وعلى المرأة ، فالخصخصة هى فى واقع الأمر توسيع رقعة السوق ، وآليات العرض والطلب ، لتبتلع كل شيء .

كما يجب ألا يفوتنا أن نتصدى لكثير من المشاريع التى يُقال لها تنموية والتى يفرضها البنك الدولى والتى تهدف فى واقع الأمر إلى تحطيم الدول القومية ومؤسسة الأسرة التى يرون أنها من أكبر معوقات «التنمية» (أى التقدم المادى بغض النظر عن الثمن الإنسانى مهما كانت فداحته) .

والشيء نفسه ينطبق على بعض التشريعات التى تصدرها بعض المنظمات «الدولية» والتى تدور فى إطار عقلية السوق الحر والخصخصة الكاملة لكل شيء بما فى ذلك جسد الإنسان وروحه وضميره . ونحن لابد أن نستفيد من الخبرات والمعونات الدولية شريطة ألا تتحول إلى معاول هدم تقوض أساس مجتمعاتنا .

وهناك العديد من الدراسات الأخرى التى تبين أن خصائص المرأة التشريحية ووظائفها البيولوجية له علاقة بتكوين شخصيتها وهويتها وطموحها (وهذه من المفارقات التى تستحق التسجيل ، فحركة التمركز حول الأنثى التى تؤكد مركزية جسد الأنثى فى تحديد هويتها ينتهى بها الأمر إلى إنكار أى أهمية للجسد

وللخصائص التشريحية والوظائف البيولوجية ، تماماً مثل الحركة الصهيونية التى تؤكد يهودية اليهودى ثم تحاول تخليصه منها) .

ونحن لا نذهب مذهب الماديين الذين يقولون بأن جسد المرأة هو قدرها وأن خصائصها التشريحية هى مصيرها المحتوم ، ولكن نقول إن هذا الجسد وهذه الخصائص تفرض عليها حدوداً معينة ، وهذه الحدود تخلق لها حيزاً أنثوياً خاصاً يفصلها عن الرجل دون أن يعزلها عنه . وقد هاج كثير من دعاة التمركز حول الأنثى حينما نشر أحد العلماء دراسة تبين أن كثيراً من البطلات الرياضيات ممن احترفن الرياضة لا يحملن إلا إذا توقفن عن ممارسة الرياضة لعدة سنوات . وقد نشر أحد العلماء دراسة طريفة تبين أن ثمة علاقة ما ، لم يتمكن الباحث من تحديدها بدقة ، بين العادة الشهرية عند المرأة والعرق الذى يفرزه الرجل تحت إبطه . ورغم أن هذه الدراسة دراسة أولية للغاية إلا أن حركات التمركز حول الأنثى حاولت منع نشرها وغيرها من الدراسات ، أى أن التوجه الأيديولوجى يصل من الحدة إلى محاولة إنكار الحقائق العلمية التى قد تقوض من النظرية ، وكأننا فى المرحلة الستالينية حين كان على العلماء أن يثبتوا ، بكل ما أتوا من قوة » صدق مقولات المادية الجدلية !

كما يجب أن ندرس الدور المدمر لبعض الشركات «العالمية» التى تشكل ما سميته فى دراسة سابقة (**الفردوس الأرضى** [١٩٧٩]) «الإمبريالية النفسية» . وإذا كانت الإمبريالية التقليدية تبحث دائماً عن أسواق لسلعها وعمالة رخيصة ، فالإمبريالية النفسية لا تختلف كثيراً عنها ، إلا أنها جعلت من وعى الإنسان ووجدانه

مجال حركتها ونشاطها ، أى أنها لا تتحرك فى رقعة الحياة العامة البرانية ، بل فى رقعة الحياة الخاصة الجوانية ، وهى سوق يمكن توسيع حدوده إلى ما لا نهاية ، عن طريق توسيع شهوة الإنسان وتوليد حالة من القلق وعدم الاتزان والرضا داخله ، يتصور أنه لا يمكنه تجاوزها إلا من خلال اقتناء سلع بعينها .

وقد نشأت عدة صناعات (رؤوس أموالها بلايين الدولارات) ركزت بالذات على المرأة . فشركات مستحضرات التجميل وأدواته جعلت المرأة هدفاً أساسياً لها . فمن خلال آلاف الإعلانات ، يولد فى المرأة إحساس بأنها إن لم تستخدم آلاف المساحيق والعطور والكريمات وخلافه تفقد جاذبيتها (عادة الجنسية) وتصبح قبيحة . وبعد ترسيخ هذه القناعة تماماً فى وجدان الإناث يتم تغيير المساحيق كل عام ، ويُطلب من المرأة أن تغيِّر وجهها لتصبح «جديدة دائماً» ، «مرغوبة أبداً» ، وهكذا تصبح المرأة سوقاً متجددة بشكل لا ينتهى .

ولا تقل صناعة الأزياء شراسة عن صناعة مستحضرات التجميل فهى صناعة أصبح لها قنوات فضائية ونجوم وأبطال (معظمهم من الشواذ جنسياً ، مات منهم خمسة فى عام واحد بمرض الإيدز ، ونجحت صناعة الأزياء فى التكتم على الخبر حتى لا تؤثر على مبيعاتها) . وفى كثير من الأحيان تقترب عروض الأزياء من الإباحية الصريحة ، فهى تتفنن فى طمس الشخصية الإنسانية والإجتماعية للمرأة وإبراز مفاتنها الجسدية لتتحول إلى جسم طبيعى/ مادى ، سوق عام لا خصوصية له يمكن هزيمته

وتوظيفه وحوسلته (تحويله إلى وسيلة) . وهكذا يتم ترشيد جسد المرأة ووجهها فى الإطار المادى ويتم سحبها من عالم الحياة الخاصة والطمأنينة إلى عالم الحياة العامة والسوق والهرولة والقلق .

ومما يزيد الطين بلة أن كلاً من صناعة مساحيق التجميل وأدواته والأزياء تفرض مقاييس جمالية يستحيل الالتزام بها إلا لمجموعة محدودة من الإناث المتفرغات لجسدهن (مثل الممثلات أو عارضات الأزياء أو فتيات الإعلانات) وقد تسبب هذا فى انتشار الأمراض النفسية مثل مرض أناركسيا فورموزا ، وهو إحساس يتملك المرأة مهما بلغت من جمال ورشاقة أنها قبيحة وبدينة ، فتمتنع عن الأكل بسبب قلقها الشديد بخصوص وزنها وجمالها ، وفى بعض الأحيان تقضى نحبها . ويبدو أن المرض منتشر على نطاق واسع (يُقال إن الأميرة ديانا كانت مصابة به بعض الوقت) . ومثل هذه القضايا تتناولها فروع جديدة فى علم الاجتماع مثل سوسيولوجيا الوجه وسوسيولوجيا الجسد .

ويساند عمليات حوسلة المرأة (أى تحويلها إلى وسيلة) هذه وتوسيع نطاق الإمبريالية النفسية صناعة الإعلانات التى تستخدم المرأة لتصعيد الرغبات الاستهلاكية عند كل من الرجل والمرأة ، وتعيد إنتاج صورة المرأة باعتبارها جسداً مادياً محضاً ، موضوعاً للرغبة المادية المباشرة . ثم تأتى أخيراً صناعة السينما فى الولايات المتحدة (هوليود) التى تعيد صياغة صورة المرأة فى وجداننا جميعاً فهى تنزع عن المرأة كل قداسة وتعريها لا من ملابسها وحسب وإنما من إنسانيتها وكينونتها الحضارية والاجتماعية وخصوصيتها الثقافية

بحيث تصبح مثل الإنسان المقترح من قبَل النظام العالمى الجديد : إنسان بلا ذاكرة ولا وعى ، إنسان عصر ما بعد الحداثة والعالم الذى لا مركز له (استخدم أحد الظرفاء اصطلاح «ما بعد البيكينى» [بالإنجليزية : بوست بيكينى – post bikini] على منوال ما بعد الحداثة [بالإنجليزية : بوست مودرنست post - modernist] ليشير إلى هذا الاتجاه نحو التعرية الشاملة ، وليوجه أنظارنا نحو العلاقة بين تعرية المرأة من ملابسها وتعرية الإنسان من منظوماته القيمية وخصوصيته القومية) .

ولعله قد يكون من المفيد أن نرى علاقة حركة التمركز حول الأنثى والمفاهيم الكامنة فيها بمشروع السوق الشرق أوسطية ، فكلاهما معاد للتاريخ ، وكلاهما يطالب الإنسان العربى أن ينسى ماضيه ووعيه وأن يبدأ من جديد .

ولعله قد يكون من المفيد أن ندرك العلاقة بين حركة التمركز حول الأنثى وظواهر جديدة فى مجتمعنا مثل الاهتمام المحموم من قبل بعض الصحف والمجلات المصرية بالجنس ، واستخدام العامية المصرية فى هذه الصحف وفى الإعلانات . إن الجنس الذى تتناوله هذه الصحف ليس شأناً إنسانياً مركباً وليس ظاهرة اجتماعية وتاريخية ، وإنما هو تسلية وفضائح ، أى أنه عملية نزع القداسة عن الإنسان ليصبح موضوعاً بسيطاً طريفاً لا كائناً مركباً عظيماً . وفى هذا الإطار تصبح فضائح نجوم السينما وسيرهم الذاتية غير العطرة هى أهم الأخبار والصور الجازية الأساسية ، ومن ثم يتم تذويب

الإنسان فى سيرة فلانة الراقصة التى لم تنجز شيئاً فى حياتها سوى سلسلة من الزيجات وعدداً من الفضائح .

واستخدام العامية لا يختلف كثيراً عن ذلك ، فلو أصبحت العامية وحدها هى مستودع ذاكرتنا التاريخية لفقدنا أمرأ القيس والبحترى وابن خلدون وابن سينا ، أى فقدنا كل شىء ، وتصبح كلاسيكياتنا هى أغانى شكوكو وأقوال إسماعيل ياسين .

وأعتقد أن الإنسان الذى يقتدى بالراقصة فلانة ولا يتذكر إلا بعض الأفلام والأغانى المصرية هو إنسان تم تفريغه تماماً وتفكيكه تماما ، ومن ثم يمكنه التحرك بكفاءة عالية فى السوق الشرق أوسطية ، لأن السوق العربية تتطلب إنساناً آخر له هوية وذاكرة ويحمل منظومة قيمية . إن حركة التمركز حول الأنثى هى جزء من هذه الهجمة الشاملة ضد قيمنا وذاكرتنا ووعينا وخصوصيتنا ويجب أن ندرك هذا ونعيه ، حتى لا تكون معركتنا جزئية وغير واعية بذاتها .

خـــاتـمـة

هذه كلها أفكار مبدئية للغاية ، مجرد خطوط عامة ، ولكن ما يجمعها كلها أن نقطة البدء والوحدة التحليلية هى الإنسان الاجتماعى وليس الإنسان الطبيعى ، وهى الأسرة وليس الفرد المتشظى الوحيد الذى تكتسحه وسائل الإعلام وتُحرّكه المؤسسات الكبرى .

وأرجو ألا يُفهم من حديثى أننى أنكر وجود قضية المرأة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، وأنه لا يوجد درجات متفاوتة من التمييز ضدها ، بل والقمع لها . فأنا أعرف (باعتبارى أستاذاً فى كلية البنات لسنين طويلة) أن ثمة مشكلة ، حادة وعميقة ، تتطلب حلاً عاجلاً وجذرياً ، كما أرجو ألا يتصور أحد أننى أطالب بمنع المرأة من العمل فى رقعة الحياة العامة أو نظير أجر نقدى ، أو أننى أطالب بالحجر عليها عقلياً وعاطفيا ، كل ما أطالب به أن يتم تناولنا لقضية المرأة من خلال قضية الأسرة وفى إطار إنسانيتنا المشتركة ، وأن تكون الأسرة (لا الفرد الباحث عن متعته الفردية ومصلحته الشخصية وحركيته الاستهلاكية) هو الوحدة التحليلية ونقطة الانطلاق .

ومن ثم فأنا أطالب برد الاعتبار للأمومة ولوظيفة المرأة كأم وزوجة ، وأرى أن هذه الوظيفة «الإنسانية» و «الخاصة» تسبق أى وظائف «إنتاجية» و «عامة» أخرى وإن كانت لا تجبّها . كما أطالب بالحفاظ على الخلاف بين الجنسين على ألا يتحول هذا إلى أساس للظلم والتفاوت .

ولأختتم مقالى هذا بالإشارة إلى واقعتين قصيرتين : واحدة من حياتى الخاصة والأخرى من حياتى العامة .

حينما ذهبنا أنا وزوجتى (د . هدى حجازى) إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراستنا كنت من أكبر المطالبين بحرية المرأة فى إطار المساواة الكاملة التى تقترب من التسوية . وقد ألتحقت زوجتى ببرنامج الماجستير وآثرت ألا تتفرغ تماماً للدراسة حتى لاتتعارض دراستها مع واجباتها كأم . فحصلت على هذه الدرجة العلمية ببطء شديد (مقرر واحد أو مقررين كل فصل دراسى) . ولكن حينما سنحت أمامها الفرصة للالتحاق ببرنامج الدكتوراه أصبح الأمر يتطلب التفرغ الكامل ، ومن ثم الاستعانة بجليسة للأطفال (بالإنجليزية : بيبى سيتر baby - sitter) .

ولم أمانع كثيراً فى ذلك وطلبت منها أن تغتنم الفرصة وألا تضيع أى وقت (ولو فعلت لحصلت على درجة الدكتوراه وهى بعد دون السادسة والعشرين ، ولبدأت حياتها المهنية العامة career فى سن مبكرة) .

ولكنى فوجئت بها ترفض ، كما رفضت أن تعمل خارج المنزل لأنها كانت تشعر أن العلاقة المباشرة بين الأم والطفلة أمر لا يمكن تعويضه مدى الحياة . وأن دراستها وعلمها هذا سيحرم طفلتها من الحق فى أن تستيقظ فى الوقت الذى تشاء وأن تقضى سنوات حياتها الأولى فى طمأنينة وسعادة وسكينة ، ساعتها فزعت من نفسى لأننى ، بسبب عقلية الإنجاز البروميثية والإنتاج الفاوستية التى هيمنت علىّ آنذاك . لم أدرك هذه الأمور الكونية البسيطة ، وكبرت الطفلة وحصلت كل من الأم والطفلة على الدكتوراه ، ولم ينته التاريخ .

أما عن نفسى فأعرف أننى أدركنى شىء من الندم كما أعرف أننى أدركت الكثير من الحكمة .

كأما الواقعة الثانية ، فهى كما أسلفت من حياتى العامة . كنت أعرف سيدة أمريكية من رائدات حركة التمركز حول الأنثى كانت تزورنى أنا وأسرتى عام ١٩٧٤ وعبَّرت عن رغبتها فى التعرف على رائدات حركة تحرير المرأة في مصر . فاتصلت بالدكتورة سهير القلماوى - رحمها الله - فتفضلت مشكورة بدعوتنا كلنا على طعام الغذاء . وبدأ الحوار بين السيدة الأمريكية والدكتورة سهير فتحدثتا عن المساواة بين الرجل والمرأة وعن تحرير المرأة . وكانت الدكتورة سهير توافقها على ما قالت إلى أن وصلت إلى نقطة شعرت عندها الدكتورة سهير أن الأمر لم يعد حديثاً عن تحرير المرأة وإنما عن تثويرها فى مقابل الرجل وعزلها عنه .

هنا توقفت الدكتورة سهير عن الحديث معهاً باللغة الإنجليزية والتفتت إلىّ وقالت بالعربية : ماذا تريد هذه السيدة؟ إن أخذنا برأيها ، سيكون من المستحيل علينا أن نجمع بين الذكور والإناث مرة أخرى؟ ثم استمرت فى الحديث بالإنجليزية . وقد لخصت كلماتها البسيطة الرائعة الفروق الحادة بين حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى ، وبين من يدرك الإنسانية المشتركة ومن يرفضها ، وبين من يرى أسبقية المجتمع على الفرد ومن يرى أن الذات الفردية هى البداية والنهاية ، وبين من يضع الإنسان قبل الطبيعة والمادة ومن يرى ، على العكس من هذا ، أسبقية المادة على وعى الإنسان وحضارته وتوجهه الاجتماعى والأخلاقى . والله أعلم .

صدر من سلسلة (فى التنوير الأسلامى)

١ – الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .	د . محمد عمارة
٢ – الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٣ – ابو حيان التوحيدى .	د . محمد عمارة
٤ – دراسة قرآنية فى فقة التجدد الحضارى .	د . سيد دسوقى
■ – ابن رشد بين الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٦ – الانتماء الثقافى	د . محمد عمارة
٧ – تنصير العالم .	د . زينب عبد العزيز
٨ – التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .	د . محمد عمارة
٩ – صراع القيم بين الغرب والإسلام .	د . محمد عمارة
١٠ – د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى	د . محمد عمارة
١١ – تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .	د . سيد دسوقى
١٢ – عندما دخلت مصر فى دين الله .	د . محمد عمارة
١٣ – الحركات الإسلامية رؤية نقدية .	د . محمد عمارة
١٤ – المنهاج العقلى .	د . محمد عمارة
١٥ – النموذج الثقافى .	د . محمد عمارة
١٦ – منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .	د . صلاح الصاوى
١٧ – تجديد الدنيا بتجديد الدين	د . محمد عمارة
١٨ – الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .	د . محمد عمارة
١٩ – نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم .	د . محمد عمارة
٢٠ – التقدم والاصلاح بالتنوير الغربى .	د . محمد عمارة

٢١ – فكر حركة الأستنارة . . وتناقضاته . د . عبد الوهاب المسيرى
٢٢ – حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى . د . شريف عبد العظيم
٢٣ – أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين . د . محمد عمارة
٢٤ – الحضارات العالمية تدافع؟ . . أم صراع . د . محمد عمارة
٢٥ – التنمية الأجتماعية بالغرب ؟ . . أم بالأسلام؟؟ د . عادل حسين
٢٦ – الحملة الفرنسية فى الميزان . د . محمد عمارة
٢٧ – الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية ترجمة ا . ثابت عيد
٢٨ – الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة . . أم تفتيت وأختراق . د . محمد عمارة
٢٩ – ميراث المرأة وقضية المساواة . د . صلاح الدين سلطان .
٣٠ – نفقة المرأة وقضية المساواة . د . صلاح الدين سلطان .
٣١ – الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية د . محمد خاتمى
٣٢ – مخاطر العولمة على الهوية الثقافية د . محمد عمارة
٣٣ – الغناء والموسيقى حلال . . أم حرام ؟؟ د . محمد عمارة
٣٤ – صورة العرب فى أمريكا . ترجمة وتعليق ا . ثابت عيد
٣٥ – هل المسلمون أمه واحده ؟؟ د . محمد عمارة
٣٦ – السنة والبدعة . تقديم وتحقيق د . محمد عماره
٣٧ – الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان . تقديم وتحقيق د . محمد عماره
٣٨ – قضية المرأه بين التحرير والتمركز حول الأنثى . د . عبد الوهاب المسيرى

الفهــرس

صفحة

١ – بين الإنسان الإنسان والإنسان الطبيعى ٣

٢ – المساواة والتسوية ٩

٣ – السياق الحضارى المعرفى لحركتى تحرير المرأة والتمركز حول الأنثى ١٤

٤ – الواحدية الإمبريالية ، والثنائية والواحدية الصلبة ، والتمركز حول الأنثى ٢٠

٥ – الواحدية السائلة وذوبان الأنثى ٢٩

٦ – حركة التمركز حول الأنثى والنظام العالمى الجديد ٣١

٧ – حركة التمركز حول الأنثى والصهيونية ٣٤

٨ – البحث عن البديل ٣٨

٩ – خاتمة ٥٠

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم العوا
- ا . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إمام
- د . عبدالوهاب المسيرى
- د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
٤٠٠

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨